Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا حاولنا أن نلتمس وجها أقرب إلى تقبل النفس له ، فلن يغنينا جانب واحد من موقف الخنساء ، وإنما علينا أن ننظر إلى حياتها مجتمعة ، لنستخلص منها الوجه الذى يمكن أن يكون أقرب إلى العقول ، وحينئذ سنرى أن النتائج التى انتهينا إليها فيما سبق من الحديث تكون صورة قد تعيننا على فهم ما كان غريبا من أمر الخنساء إذا جمعنا بعض هذه النتائج إلى بعض ، ومن هذه النتائج أن الخنساء خلقت بطبيعة خاصة تختلف عن الطبيعة المألوفة فى المرأة ، سواء من حيث شخصيتها ، ومن حيث عواطفها ، وكان من نتيجة هذه الطبيعة الخاصة أن نشأت وآمالها وعواطفها غير متجهة إلى ذاتها بوصفها أنثى ، ولا إلى ما يرتبط بهذا من اتجاه نفسى إلى الزوج ، وإلى الأولاد ، وإنما كان اتجاها مركزا على مجد الأسرة والقبيلة ، وقد وهبت حياتها كلها لهذا الاتجاه ، فضحت بشبابها وجمالها وسعادتها الزوجية لمجرد أن تبقى فى القبيلة عند أى زوج منها ، ولترى مجد أسرتها وقبيلتها أمام عينيها

ومن هذه النتائج أن موت صخر ومعاوية لم يكن الصدمة الأولى فى نفسها ، وإنما كانت الصدمة الأولى فشلها فى زواجها فشلا كامل الجوانب كما رأينا ، وليس غريبا أن يطبع هذا الفشل نفسها بطابع الكآبة والحزن ، وأن يجعل منظارها قاتما ، ولذلك لم تقع عينها على شىء بعد ذلك يبعث فى نفسها أملا أو سعادة قط حتى ولو رزقت أولادا من خيرة البنين ، فموت أخويها لم يحدث فى نفسها حزنا جديدا كل الجدة ، وإنما أضاف إليها مجرد إضافة .

ومن هذه النتائج أن حزنها على صخر لم يكن على فقده بوصفه أخا ، أو بوصفه صاحب أفضال وأنعم عليها ، وإنما بوصفه رمزاً لمجد الأسرة والقبيلة ، وقد كانت صادقة التعبير ، دقيقة اللفظ حينما سألها عمر عما يدعوها إلى كل ما هى فيه من حزن فأجابت : على السادات من مضر ، فهى لا تبكى ولا تحزن فى حقيقة الأمر على أخ ولا على صاحب فضل ، ولا على فلذات أكباد ، وإنما تبكى على السادات من مضر ، فهى تبكى على السيادة التى انهارت دون أن يكون فى الأسرة من يملأ فراغها ، فحين مات صخر لم يكن فى الأسرة من يحمل هذا المجد قبل أن يهوى ، ولو تخيلنا أن شخصا فى الأسرة حين مات صخر كان يمكن أن يحل محله فى السيادة والمجد لكان حزنها عليه فى أغلب الظن أيسر بكثير مما كان ، ولكان فى أقصى الفروض كحزنها على معاوية